إشكالية الإرهاب وتعريف ماهيته

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ: 28 مايو 2017

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

بات مصطلح «الإرهاب» من أكثر المصطلحات تداولاً منذ أن تم تفجير برجي مركز التجارة الدولية بمانهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، وذلك في يوم الثلاثاء الموافق 11 سبتمبر 2001. حيث لم يكن هذا المصطلح من المصطلحات المتداولة بكثرة قبل هذا التاريخ، وبناءً على ذلك فقد منحت الولايات المتحدة لنفسها الحق بتدمير عدة دول عربية مسلمة بحجة أنها دول ترعى الإرهاب، ولكن على الرغم من ذلك لم تعرف الولايات المتحدة المصطلح، فما الإرهاب بالمفهوم الأمريكي الذي كان مبررًا لغزو وتدمير أي دولة ؟

ومن الملاحظ أنه كان من صالح الدولة العظمى أن يكون مصطلح «الإرهاب» يكتنفه الكثير من الضبابية والمطاطية، وذلك من أجل تحقيق أهدافها الخاصة – أيًا ما كانت تلك الأهداف – فتضع يدها على مقدرات تلك الدولة، وتنهب موارد الدولة الأخرى، وتقوم بتقسيم تلك الجماعات المتدينة، وما إلى ذلك من أفعال كل هذا باسم مكافحة الإرهاب، الذي هو غير معروف ما هويته ؟ ومن يمثله؟ ومن يدعمه؟ ومن ينمو تحت كنفه ؟

ولكنها في الأول والأخير حاولت أمريكا عبر وسائلها الإعلامية – كلها – متضافرة أن تربط بين الإرهاب وبين الدين الإسلامي، من

أجل تحقيق أهداف معينة، عندئذ تسارعت العديد من الدول الإسلامية والعديد من العلماء إلى نفي هذه التهم وتنقية روح الإسلام من الإرهاب، وقامت الكثير من الدول بتغير منهج التربية الإسلامية وأزالت الآيات القرآنية التي تتحدث عن الجهاد، ويا ليت الموضوع وقف عند هذا الحد، إلا أن بعض الدول أزالت حتى تلك الآيات التي تتحدث عن مكر اليهود ومحاربتهم للّه سبحانه وتعالى، كل ذلك بحجة أنه لا يجب أن نثير البغضاء والكراهية بين الشعوب، ولكن في المقابل لم نسمع أن الحكومة الإسرائيلية غيرت مناهجها الدراسية من أجل تحسين صورة المسلمين للشعب اليهودي، وذلك من أجل التعايش السلمي بين الشعبين، لماذا ؟ لأن من حق اليهود أن يدافعوا عن مقدساتهم وحرياتهم، عجبي.

كيف نعرف الإرهاب ؟

يشتق مصطلح «إرهاب» من الفعل المزيد «أرهب»، فيقال أرهب فلانًا: أي خوفه وفزعه، وهو المعنى نفسه الذي يدل عليه الفعل المضعف «رَهّبَ»، أما الفعل المجرد من المادة نفسها وهو «رَهِبَ»، يرهب، رهبه، ورهبًا فيعني: خاف، فيقال: رَهِبَ الشيء رهبًا ورهبه أي خافه.

أما الفعل المزيد بالتاء وهو «تَرهب» فيعني انقطع للعبادة في صومعته، ويشتق منه الراهب والرهبنة وما إلى ذلك، وكذلك يستعمل الفعل «ترهب» بمعنى توعد إذا كان متعديًا، فيقال ترهب فلانًا: أي توعده.

تقول غبولي منى في رسالتها للماجستير (2009) «إلا أن هناك بعض العلماء يشيرون إلى أن الرهبة في اللغة العربية تستعمل عادة للتعبير عن الخوف المشوب بالاحترام، وبالتالي فهي تختلف عن الإرهاب الذي يعني الخوف والفزع الناتجين عن تهديد قوة مادية أو طبيعية، وبالتالي فإن ترجمة كلمة (Terrorisme) الفرنسية إلى «إرهاب» هي ترجمة خاطئة لأن الخوف من القتل أو الخطف لا يقترنان عادة بالاحترام».

ثم تواصل وتقول «أما في القرآن الكريم، فلم ترد كلمة إرهاب بهذه الصيغة، بل وردت من خلال مشتقات عديدة في اثني عشر موضعًا، وتفيد في معناها الخوف والتحرز عمومًا. أما تفصيلاً فقد وردت مرة بمعنى إخافة عدو اللّه وعدو المؤمنين في الجهاد (وهذا الموضوع سنتحدث فيه لاحقًا)، وخمس مرات بمعنى مخافة اللّه وإجلاله، ومرة في وصف حال الناس عندما شاهدوا ما فعله السحرة، وخمس مرات في تسمية الرهبان»، انتهى.

والإرهابيون في المعجم الوسيط، هم: الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية. والإرهابي في المنجد، هو: من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، والحكم الإرهابي هو نوع من الحكم يقوم على العنف والتخويف من أجل إقامة حكومة أو جماعة ثورية.

والإرهاب في الرائد هو رعب تحدثه أعمال العنف كالقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب، والإرهابي هو من يلجأ إلى العنف والقتل وإلقاء المتفجرات أو التخريب لإقامة سلطة أو تقويض أخرى، والحكم الإرهابي هم نوع من الحكم الاستبدادي يقوم على سياسة

قمع الشعب بالشدة والعنف بغية القضاء على النزعات والحركات التحررية والاستقلالية.

تعريف الإرهاب في اللغات الأجنبية

إن كلمة (Terreur) الفرنسية أصلها لاتيني، ومن هذا الأصل انتقلت إلى باقي اللغات الأوروبية، وهي مشتقة من الفعلين اللاتينيين (Tersere) و(Terrere) الذين معناهما «جعله يرتعب ويرتجف»، ويشتق منهما الاسمان (Terror) و(Terroris) مصدرا الاسم الفرنسي (Terreur) الذي يعني «خوف ورعب شديدين». وقد وضحهما قاموس الأكاديمية الفرنسية لسنة 1740 من خلال المثال التالي «يقال ألقى الرهبة بين الأعداد، ويقال عن الزعيم الكبير أن اسمه يملأ الجو رهبة».

وقد لاحظ بعض الباحثين على هذا اللفظ أنه احتوى في مراحله الأولى على بعد نفسي وجسدي، ولم يكتسب البعد الاجتماعي إلا في مطلع القرن الثامن عشر من خلال الثورة الفرنسية، واقتصر في البداية على كفاح المتمردين على الحكومة ثم تطور في عام 1800 ليشمل الهجوم على الملك شخصياً وليس على الدولة فقط، وظل في تطور حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

وعرف الإرهاب القاموس الفرنسي لاروس أنه «مجموعة أعمال عنف يرتكبها مجموعة ثورية أو أسلوب عنف تستخدمه الحكومة».

أما قاموس روبير فعرفه على أنه «الاستخدام المنظم لوسائل استثنائية للعنف من أجل تحقيق هدف سياسي كالاستيلاء أو ممارسة السلطة، وهو على وجه الخصوص مجموعة من أعمال العنف من اعتداءات فردية أو جماعية أو تدمير تنفذها منظمة سياسية للتأثير على السكان وخلق مناخ عام بانعدام الأمن».

وفي قاموس أكسفورد فإن الإرهاب هو «سياسة أو أسلوب لإفزاع المعارضين للحكومة».

وفي قاموس روبستون فإن الإرهاب هو «وصف للجماعات السياسية التي تستعمل العنف لتضغط على السلطات الحكومية من أجل تأييد المطالبين بإحداث تغييرات اجتماعية عميقة».

وتعرف هيئة الأمم المتحدة الإرهاب على أنها «أعمال العنف التي تمارس من قبل الدول ضد شعوب بأكملها بهدف السيطرة عليها أو التدخل في شؤونها الداخلية، وأن استخدام القوة المسلحة لنوع من الأعمال الانتقامية أو الدفاع الوقائي الذي تمارسه دولة ضد سلامة وسيادة دولة أخرى ودفع المجموعات الإرهابية إلى إقليم دولة بهدف إشاعة الرعب والفزع بين المواطنين وإشغال الأنظمة السياسية» وينبغي أن تدخل جميعها في نطاق تعريف الإرهاب نظرًا إلى خطورتها وجسامتها عن أي شكل آخر من أشكال الإرهاب.

نظرًا إلى كل هذه التعريفات وصعوبة معظمها وتداخلها مع بعضها البعض، نجد أنه يصعب علينا أن نصل إلى تعريف واحد موحد يمكن أن نعتمده في مقالنا أو شرح فكرتنا، وربما لهذا السبب تم تمييع وضع تعريف واضح لمصطلح «الإرهاب» بصورة عالمية، فلكل تعريف فئة من الناس والجماعات ترفضه جملة

وتفصيلاً لأنه – قد – لا يخدم مصالحها، لذلك نعتقد أن الدول - وخاصة- صاحبة الشأن فضلت بقاع المطاطية والمرونة تصاحب هذا المصطلح من أجل أغراض وأهداف ومصالح شخصية.

ونحن لا نتيه في خضم كل هذه التعريفات سنحاول أن نستخلص منها بعض الخصائص التي يمكنها أن توضح لنا ما هيه الإرهاب.

خصائص الإرهاب

1. استخدام العنف أو التهديد به؛ فمن أجل إحداث أضرار بالفئة المستهدفة لا بد من العنف والترويع بقدر الإمكان.

2. إرعاب وتخويف الضحايا؛ يتعدى هدف الإرهابيين القضاء على أرواح وأجساد الضحايا وممتلكاتهم إلى زرع الرعب والخوف في نفوس جميع أفراد المجتمع المقصود.

3. انتقاء الأهداف بدقة؛ فعادة ما يتم اختيار الأماكن والضحايا ووسائل المواصلات المقصودة بعناية فائقة، واختيار أكثرها أهمية للرأي العام وأكثرها إحراجًا للنظام السياسي، ومراعاة أيهما سيحقق تأثيرًا إعلاميًا أكثر.

بمعنى أنه يقصد أشخاص معينين أو منشأة معينة لأن ذلك يخلق حالة شديدة من الرعب والفزع العام، بقصد شل حركة الأشخاص المستهدفين، وإرباكهم بطريقة تخلخل تصرفاتهم، والقصد من ذلك توجيه رسالة إلى المجتمع المقصود بطريقة مباشرة أو غير

مباشرة، وقد يكون موجها إلى جزء من السكان أو طبقة، أو فئة اجتماعية معينة، أو إلى حزب سياسي.

ومن ناحية أخرى – فإن الشيء بالشيء يذكر – فإنه في بعض الأحيان فإن الفكر الإرهابي يركز على النيل من الحكام والولاة والعلماء والوزراء وأهل الحل والعقد، وغمطهم حقهم بإغفال محاسنهم وتجلية ما يقع منهم من خطأ وتضخيمه، بل واستهدافهم في المخالفة، لأن مخالفة المجتمع لا تكسبهم الظفر بتعاطف أعضائه، وهذه الخاصية أكثر ما تظهر في الحركات الإرهابية في المجتمعات التي تسمى بالنامية أو العالم الثالث.

4. استخدام عنصر المفاجأة بالنسبة للأجهزة الأمنية المختصة؛ إذ إنه وعلى الرغم من الإجراءات الأمنية الوقائية المكثفة التي تحيط بالأماكن أو الشخصيات أو وسائل المواصلات المهمة، فإن المنظمات الإرهابية تستغل الثغرات وتفاجئ الجهات الأمنية بتنفيذ العملية.

5. عدم الالتفات لنوعية الضحايا؛ فلا تتم مراعاة إمكانية سقوط الأطفال والشيوخ والنساء كضحايا للعمليات الإرهابية، وقد يكون ذلك مقصوداً من أجل زيادة الإثارة لدى الرأي العام.

6. ولاء الإرهابيين المكلفين بتنفيذ الجرائم الإرهابية للتنظيمات والدول الإرهابية؛ ويكون ذلك الولاء عميقًا للتنظيمات والدول التي ينتمون إليها ولأهدافها وقيمها، حتى لو كان ذلك على حساب أرواحهم ودولهم الأصلية.

7. **ترك آثار العمليات الإرهابية في أذهان المجتمع المقصود سنويًا؛ فيصبح تاريخ حدوثها ذكرى ذات دلالات محددة سواء لدى الجماعات الإرهابية أو على النظام السياسي.**

8. **استخدام أحدث الأسلحة وأكثرها فتكًا وتدميرًا؛ إذ يلاحظ ذلك من نوعية وحجم المتفجرات التي تستخدم في عمليات إرهابية.**

9. **استخدام أحدث وسائل الاتصالات وأحدث التقنيات العلمية في نشاطات التنظيم؛ وذلك من الأجهزة اللاسلكية المشفرة وأجهزة الهواتف المتنقلة والتي تعمل على نطاق إقليمي أو عالمي.**

10. **تدويل الجرائم الإرهابية؛ إذ لا يقتصر التعامل مع الإرهاب على الأفراد القلائل الذين نفذوا الجرائم الإرهابية أو الذين قبض عليهم قبل إتمام عملياتهم، بل يتطلب ذلك التعامل مع الأشخاص والتنظيمات والأحزاب والدول التي تدعمهم، ففي هذا العصر هناك العديد من الدول تقوم بتمويل الجماعات الإرهابية في الخفاء، وفي نفس الوقت تقوم هي أمام الراي العالمي بالتنديد والصراخ والعويل.**

11. **إعلان مبادئ التنظيمات المتطرفة والجماعات الإرهابية والدول التي ترعى الإرهاب؛ وعادة ما تكون مبررات ومبادئ نبيلة من وجهة نظر تلك التنظيمات للعمليات التي تقوم بها، بينما تتفق جميع الديانات السماوية والقوانين الوضعية وكافة الأعراف الإنسانية على أنها أعمال إجرامية غير مقبولة.**

هل عرفنا الآن، ماذا نعني بالإرهاب ؟ حسنًا، لنلتقي في الأسبوع القادم ولنواصل ما انقطع من حديث، ولنعرف هل من علاقة للإسلام بالإرهاب ؟